# اعتلال الصحة وانعدام المساواة

**يستند هذا الكتاب إلى** الدراسة البحثية المؤثرة للغاية من إعداد «آن كيس» و«أنغاس ديتون» عن معدل الوفيات نتيجة وباء إدمان المواد الأفيونية المأساوي في الولايات المتحدة، بما في ذلك الوفيات الناجمة عن الانتحار والإصابة بمرض الكبد الكحولي. ويتميز الكتاب بأسلوبه الرائع حيث يتسم بشمولية العرض مع الإيجاز.

وتمتد عبر صفحات الكتاب عملية تجاذب وتضاد رائعة بين الجانب الجريء في عنوانه «وفيات اليأس» (وهي العبارة التي اشتهرت بفضل كتاب «كيس» و«ديتون»)، والعنوان الجانبي ممتد الأثر «ومستقبل الرأسمالية». ولتفهم الأمر برمته، علينا أن ندرك أن دراسات «كيس وديتون» أصبحت أحد أشكال اختبار «رورشاخ» النفسي للصحفيين، وكتّاب الرأي، وحتى لكثير من المتخصصين في علم الاجتماع حول معتقداتهم عن أسباب اعتلال أمريكا في الوقت الراهن.

لا تزال عوامل عدم المساواة، والتوسع الحضري، والعولمة، والتفرقة التعليمية، والنظام الصحي الأمريكي المبالغ في تكلفته رغم عدم كفايته تتحمل منفردة مسؤولية الارتفاع المذهل في معدلات الوفيات، لا سيما بين الرجال متوسطي العمر ذوي البشرة البيضاء وبدرجة كبيرة غير متناسبة في المجتمعات الريفية الأفقر التي فاتها الركب.

وبينما يعرب الكاتبان عن تفهمهما للتصورات التقدمية بشأن المجتمع الحديث وجهود النهوض به، فإنهما يتوخيان الحرص في إلقاء اللوم على أمور بعينها. وباستعراض الأدلة بين الولايات الأمريكية المختلفة، يوضح الكاتبان أن «الفقر ليس هو مصدر الطفرة في وفيات اليأس». ورغم أن ولايتي غرب فيرجينيا وكنتاكي فقيرتان وتعانيان من ارتفاع معدلات الوفيات نتيجة تعاطي الجرعات الزائدة من المخدرات، فإن ولايتي مسيسيبي وأركنسو فقيرتان أيضا لكنهما لا تعانيان تقريبا من هذه المشكلة بنفس الحدة. ومن جهة أخرى، نجد أن ولايات أغنى نسبيا مثل نيوهامبشير ويوتا تأثرتا بشدة من هذا الأمر. ورغم أن ولايتي نيويورك وسان فرانسيسكو هما مركز عدم المساواة فإن حجم مشكلة المواد الأفيونية فيهما أقل من ذلك.

وهناك سبب آخر شغل اهتمام المؤلفين وهو الأزمة المالية العالمية. ويبدو توقيت حدوثها منطقيا. فهناك بلدان مثل اليونان مرت بفترات ركود أعمق وأطول بدرجة كبيرة مقارنة بالولايات المتحدة، غير أن متوسط العمر المتوقع فيها استمر في الارتفاع، حتى في أحلك فترات الركود التي مرت بها. وانطبق الأمر نفسه على إسبانيا وفي معظم باقي أنحاء أوروبا. ورغم هذه التحفظات بشأن التفسيرات التقدمية المعتادة حول «وفيات اليأس»، فإن «كيس» و«ديتون» يقران بأن فقدان الوظائف والتمكين في المجتمعات الريفية ربما ساعد على إشعال فتيل الأزمة.

**المسؤول الحقيقي عن هذه المشكلة من وجهة نظر الكتاب هو نظام الرعاية الصحية في الولايات المتحدة.**

ولكن المسؤول الحقيقي عن هذه المشكلة من وجهة نظر الكتاب هو نظام الرعاية الصحية في الولايات المتحدة. ويرى المؤلفان أن المستشفيات، وشركات التأمين، وشركات تصنيع الأدوية، والأطباء، وصانعي المعدات جميعهم يتقاضون أجورا أعلى بكثير من اللازم بالمعايير الدولية، وهو ما يرجع غالبا للتسامح الأمريكي الغريب مع الاحتكار في العقود الاخيرة. ويعرض المؤلفان «كيس» و«ديتون» مجموعة متنوعة من الحلول المعقولة لتشجيع تخفيض الأسعار واحتواء كل شرائح المجتمع. غير أن ما يثير الاهتمام هو عدم قدرتهما على تقبل رأي من يرون في «برنامج التأمين الصحي الفيدرالي للجميع» علاجا ناجحا لكل المشكلات. ويؤكدان أن بلدانا كثيرة لديها نماذج ناجحة تمتزج فيها برامج الرعاية الصحية العامة والخاصة، وأنه لا يوجد حل واحد يصلح للجميع، وأنه يتعين مراعاة آثار التحول.

وباختصار، هذا كتاب رائع. ولا أشك في أنه سيكون على قائمة أفضل ١٠ كتب لكثير من الناس في عام ٢٠٢٠. ورغم أنه كُتب قبل أزمة كوفيد-١٩، فإن التحليل النقدي الذي يعرضه لمنهج الولايات المتحدة في الرعاية الصحية وعدم المساواة يبدو مطلعا على المستقبل بدرجة ملحوظة. فأزمة إدمان المواد الأفيونية التي يحللها الكاتبان «كيس» و«ديتون» هي من عدة أوجه صورة مصغرة من المعاناة التي يشهدها العالم اليوم، وسنكون مقصرين إذا أغفلنا الاهتمام بما تنطوي عليه من رؤى متبصرة. FD

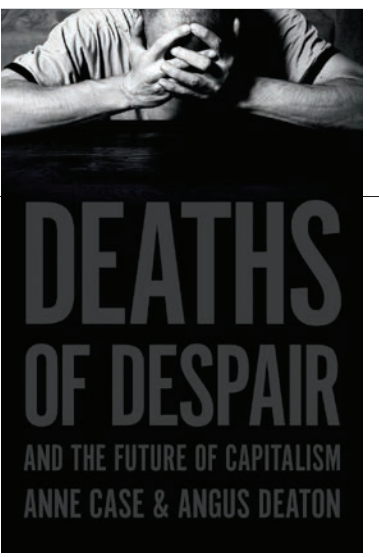


آن كيس وأنغاس ديتون
**وفيات اليأس ومستقبل الرأسمالية**

*Anne Case and Angus Deaton*
**Deaths of Despair and the Future of Capitalism**
Princeton University Press,
Princeton, NJ, 2020, 312 pp., $27.97

**كينيث روغوف**، هو أستاذ كرسي توماس كابوت لعلوم السياسة العامة واستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد.